حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٧٠) ٢٠١٤/١٢/١٤ م | www.al-badeel.org | Issue (170) 14/12/2014

هل ينجح دي ميستورا ؟

حسام ميرو

يسعى المبعوث الدولي ستيفان دي ميستورا إلى جعل حلب نقطة رئيسية في الحل السوري، وذلك عبر تجميد الصراع في حلب المنقسمة إلى نصفين، يسيطر النظام على قسم منها، والمعارضة المسلحة على القسم الآخر، ويعتقد الرجل أن تجميد الصراع هو مدخل ممكن لفك العقد المتشابكة في الصراع السوري، ودفع الأطراف إلى مستوى من الالتزام يمكن التأسيس عليه لاحقاً في الحل السياسي.

إذاً، لا يحمل دي ميستورا تصوراً سياسياً مسبقاً، وهو لا يريد أن تحظى مهمته بالفشل الذي مني به سلفه الأخضر الإبراهيمي، لذلك نراه يهرب حتى من الحديث عن جنيف 1 الصادر في يونيو 2012، وقال إن "السوريين هم الذين يقررون في العملية السياسية تفسير بيان جنيف"، محاولاً عدم الانطلاق من نقاط يبدو تنفيذها ضمن المعطيات الراهنة أشبه بالمستحيل، لعدم توافر جهات ضاغطة ووزانة في هذا الاتجاه.

وفي مسعاه إلى تجميد القتال في حلب سيطلب المبعوث الدولي دعم الأمم المتحدة باستصدار قرار من مجلس الأمن يتضمن "بنوداً رادعة"، ويعتقد أن هذا الأمر من شأنه أن ينعكس على باقي المناطق في سورية، بحيث تتوقف عمليات النظام والمعارضة، ما يسمح بمرور المساعدات إلى الشعب السوري.

لكن، دي ميستورا لا يرى وجود أي تعارض بين خطته ومسعى موسكو إلى حل سياسي، فموسكو تحاول جمع معارضة تقبل الانخراط في عملية سياسية دون أن تحدد مسبقاً شكل العملية السياسية، وما الذي يمكن أن تفضي إليه، وما المدى الزمني المتوقع، وهو ما يعني أن أطرافاً عدة في المعارضة السياسية والعسكرية لن تقبل بالذهاب إلى هكذا حل سياسي، خصوصاً أن جهات إقليمية فاعلة في الصراع السوري ترى أن عملية سياسية من هذا النوع تخدم بشكل رئيس نظام بشار الأسد، خصوصاً أنها ستعيد تشكيل مغزى الصراع، ونقله إلى مستوى آخر يتعلق بالحرب على الإرهاب.

إن تجميد القتال في حلب فيما لو حصل سيعني الاعتراف الدولي بوجود شرعيتين (النظام والمعارضة)، وقد يكون كلام المبعوث الأممي عن وجود قوانين رادعة يعني في أحد تفصيلاته وجود قوات فصل ومراقبة ما، ما يعني تكريس انقسام مدينة حلب نفسها، وإدخال القضية الوطنية السورية في سياق جديد.

أما عن ترك دي ميستورا تفسير إعلان جنيف 1 للسوريين فهو يصب تماماً في إعادة تعريف القضية السورية دولياً، وتحويل طبيعة الاهتمام بها، ودفع السوريين إلى التفكير بحلول من طبيعة غير تلك التي تبنوها سابقاً، وهو ما يعكس مقاربة المبعوث الأممي إلى طبيعة الصراع بين السوريين من جهة، وبين القوى الإقليمية من جهة ثانية، واعتقاده بأن الصراع السوري وصل إلى مرحلة يستحيل فيها الحسم، وأصبح بوابة لتعاظم الإرهاب.

وتأخذ خطة المبعوث الدولي بعين الاعتبار الجانب الإنساني، وهو الجانب الذي بات يشكل عبئاً كبيراً على المجتمع الدولي، وقبله على دول الجوار، لا سيما أن تغطية تكاليف هذا الجانب أصبحت كبيرة، وتعاني من توفير الموارد اللازمة لتغطيتها، ومن هنا فإن تجميد القتال يمكن أن يساعد في وقف تدفق اللاجئين إلى دول الجوار والعالم، ويسمح بإعادة إعمار المناطق التي يبدأ فيها وقف القتال.

هل سينجح دي ميستورا في خطته أم أن جهوده ستلاقي الفشل كجهود سابقيه كوفي أنان والأخضر الإبراهيمي؟ .

في خطة الرجل نظرة واقعية إلى الصراع من منطق محايد، وهي بالتأكيد تفترق عن نظرة قوى وشخصيات سياسية معارضة كثيرة، وقد تكرّس على المدى البعيد مشكلات جديدة، لكنها تمثّل ما هو ممكن على الساحة الدولية، فبعد أربع سنوات من الوضع السوري ما زال موازين القوى الإقليمي والدولي عاجزاً عن إيجاد حل سياسي منصف لثورة السوريين، ولمختلف أطياف الشعب السوري.

لكن واقعية خطة دي ميستورا لا تعني بالضرورة نجاحها، فهي لا تحتاج فقط إلى قبول السوريين بها، وإنما على توافق إقليمي بالدرجة الأولى عليها، وهو أمر يصعب الجزم بحدوثه حتى اللحظة.

ازدياد حدة مؤشرات انهيار الاقتصاد السوري

يبدو من الصعوبة بمكان تقدير خسائر الاقتصاد السوري خلال الأربع سنوات الماضية بشكل دقيق، إذ يتطلب الأمر وجود فرق إحصاء ميدانية متخصصة، ومع ذلك فإن محاولات الجهات البحثية والمنظمات الأممية في هذا المجال تعطي فكرة مهمة عن مدى خسائر الاقتصاد الوطني، وعن تحوّل الاقتصاد السوري إلى اقتصاد حرب.

وتقدّر منظمة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا "الإسكوا" التابعة للأمم المتحدة، الخسائر المتوقع أن يتكبدها الاقتصاد السوري في حال استمرار النزاع حتى العام 2015 بحوالي 237 مليار دولار.

وأفاد تقرير صدر خلال شهر سبتمبر/ أيلول الماضي بأن الناتج المحلي السوري تراجع في العام 2013 إلى 33.4 مليار دولار، مقارنة بالعام 2010، الذي بلغ فيه 60.1 مليار دولار، بنسبة انخفاض 44.4%، وارتفع معدل التضخم بنسبة 90%، وتراجعت الصادرات بنسبة 95%، والواردات بنسبة 93% مقارنة مع العام نفسه.

وخلص التقرير إلى أن "ما حققته سورية خلال عقود من التنمية أنفقته في 3 سنوات فقط". ولفت إلى أن السوريين بدؤوا يعانون من أمراض "كانوا قد نسوها" وهي السل، الحمى المالطية، الحصبة، السحايا، شلل الأطفال، إضافة إلى "استفحال أمراض أخرى" كالتهاب الكبد الفيروسي.

وعرفت البنية التحتية حالة استهداف مباشر جراء حالة الاقتتال، وأصيبت أحياء ومناطق كاملة بحالة دمار شاملة، وتقدّر أعداد المساكن التي تهدمت منذ بدء الحرب بحوالي 678.97 ألف منزل حتى العام الحالي، فيما بلغ عدد المساكن التي تضررت بشكل جزئي نحو 509.1 آلاف منزل، وعدد المساكن التي تضررت فيها البنية التحتية نحو 862.21 ألف منزل.

وقد حوّلت الحرب أعداداً هائلة من الشباب إلى عاطلين عن العمل، وقد ارتفع معدل البطالة في صفوف الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة إلى 82% في نهاية العام الماضي، مقارنة بنسبة 35% العام 2011، ومن المتوقع أن تصل إلى 66% العام 2015.

أما إنتاج النفط السوري فقد تراجع بشكل كبير، لا سيما أن معارك آبار النفط كانت جزءاً مهماً من المعارك التي دارت بين قوات النظام وفصائل المعارضة، كما أن تنظيم الدولة الإسلامية سعى وما زال إلى وضع يده على آبار النفط، واحتكار الإنتاج، و قد انخفض إنتاج النفط الخام من 377 ألف برميل يومياً في العام 2008 إلى 28 ألف برميل يومياً فقط في العام 2013، في حين استمر إنتاج الغاز الطبيعي 5.9 ملايين متر مكعب سنوياً في العامين 2008 و2013، رغم وصوله للذروة عام 2010 إلى 8.49 ملايين متر مكعب.

وفي الآونة الأخيرة، ازدادت حدة الأوضاع الاقتصادية انهياراً، ولم يعد النظام قادراً على تأمين متطلبات الحياة اليومية في المناطق الخاضعة لسيطرته، وتعاني العاصمة دمشق من تقنين في الكهرباء الذي وصل إلى أكثر من 20 ساعة يومياً في بعض المناطق، بالإضافة إلى انقطاع المياه لأيام متتالية في معظم المناطق، بالإضافة إلى فقدان المحروقات التي وصلت أسعارها في السوق السوداء إلى أسعار جنونية.

"الحر" في درعا نحو الاندماج وأمريكا تؤكد أنه لا تعاون مع "الأسد"

خطا 17 فصيلاً من كتائب "الجيش الحر" خطوة إضافية نحو الاندماج بتشكيل قيادة مركزية في جنوب سورية، وذلك سعياً إلى الحصول على مزيد من الدعم الغربي في مواجهة قوات النظام وتنظيم "الدولة الاسلامية"، في وقت بدأ "داعش" التمدد إلى الطرف الآخر من دمشق في جرود القلمون قرب حدود لبنان.

ولا يزال ريف درعا، أحد المعاقل الرئيسية للمعارضة المعتدلة التي حققت تقدماً في الفترة الأخيرة. وقال بشار الزعبي قائد "جيش اليرموك" قبل أيام: "نسير بخطوات، اتفاق الدفاع المشترك هو جزء من الخطة الكاملة لتوحيد الجبهة الجنوبية"، لافتا إلى أن الاتفاق وقعه في 6 من الشهر الجاري زعماء 17 فصيلا مسلحاً اقروا فيه خطة لـ "الانتقال السياسي" في سورية.

وأوضح "أبو حمزة القابوني" أحد قادة "جبهة الجنوب" إن مقاتلي المعارضة يسعون للاندماج ليشكلوا "ما يشبه الجيش، وأول فائدة من هذا الاتفاق أن نجعل مسألة التوحيد أسهل. اذا تحدثنا عن نوع الخطر فنستطيع أن نقول النظام طبعاً وداعش هو الهدف الثاني".

سياسيا، تشاور السفراء المسؤولون عن الملف السوري في الدول الثلاث الدائمة العضوية في مجلس الأمن، الفرنسي فرانك جيلي والأميركي دانيال روبانشتاين والبريطاني غاريث بيلي في باريس حول المبادرة الروسية ومبادرة دي ميستورا. وقالت مصادر فرنسية إن "الولايات المتحدة أكدت مجدداً أنها لن تتعامل مع الأسد. صحيح أن أولويتها في سورية محاربة داعش، لكن لا يمكنها أن تتعامل مع الأسد".

وتبنت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي مشروعاً "يسمح باستخدام القوة العسكرية" ضد تنظيم الدولة، ويرسم حدود الانخراط العسكري الاميركي الذي بدأ في أغسطس/ آب الماضي.

ونص المشروع الذي عارضه جميع الاعضاء الجمهوريون، يمنع الرئيس الأميركي من نشر قوات مقاتلة على الارض على نطاق واسع ضد "داعش" ويحدد مدة العملية بثلاث سنوات.

وفي لندن، أعلنت وزارة الخارجية البريطانية أن دي ميستورا قابل وزير الدولة لشؤون الشرق الأوسط توبارياس إيلوود، وأكدت في بيان أن "حلاً سياسياً شاملاً هو الوحيد القادر على إنهاء النزاع في سورية"، وأن لندن تدعم بقوة جهود تخفيف نزف الدم، لكن من الأساسي أن هذه الجهود لا يتم إساءة استخدامها من قبل الأسد الوحشي من أجل إلحاق مزيد من المعاناة، وأن تكون (خطة التجميد) جزءاً من عملية شاملة لإنهاء الحرب في كل سورية.

مأساة الطفل السوري.. يتم وتشرد وغياب التعليم والتجنيد

عصام عطا الله

في خضم الأحداث الدموية التي تعيشها سورية يدفع الأطفال الضريبة الكبرى، فالطفل السوري فَقَدَ كل ما يتعلق بالطفولة من معانٍ جميلة، فحرم من الأمان، واللعب والعطف والرحمةَ والعلم، وتحمل مسؤوليات الرجال مبكراً.

يُعَدُّ الطفل الحلقة الأضعف في المجتمع، ولم تشفع له براءته فتعرض كالكبار للقتل والإعاقة، بل وصل الأمر لذبحه بالسكين وتعذيبه، فكان ضحية لشيء لم يعرفه، يقول أبو فيصل نازح من حلب: " ابني الآن مقعد بعد أن تعرض لرصاصة قناص في العمود الفقري، وكم أتألم عندما أنظر في عينيه التي تراقب الأطفال يلعبون من غير أن يستطيع مشاركتهم، لقد حُرم إضافة للآلام من أبسط حقوقه، حتى العلاج لم يحصل عليه كما يجب"، إن اللعب في الشوارع والحدائق أصبح مستحيلاً، فالقناص يراقب، والقذائف والبراميل وشظاياها لا ترحم، ولا تعرف براءة الطفل.

حتى اللعب أصبح عنيفاً لا يتناسب مع أعمارهم، فألعاب الأطفال تتمحور حول القتل والقصف والتشرد واللجوء، ولم تعد كرة القدم وما شابهها شيئاً مرغوباً، تقول المربية فاطمة من ريف حلب الشرقي: "الأطفال في الروضة يلعبون لعبة الجيش الحر والشبيحة، ويمثلون الاقتحامات، ويحفظون كل أنواع الأسلحة، فالطفل انعكاس للخلل الذي أصاب المجتمع".

ولعلّ أكثر ما انعكس على نفسية الطفل السوري عيشه بلا وطن، فنزوح السوريين وهجرتهم من مكان لآخر بسبب ظروف الحرب وتشردهم جعلت الطفل لا يألف بيتاً أو شارعاً أو حياً، ولا يعرف عمّاً أو خالاً، كما لم يستطع إقامة علاقات صداقة مع أقرانه. تقول أم ريان نازحة من حمص: " مررنا برحلة نزوح طويلة فمن حمص إلى ريفها إلى حلب حيث سكنّا في أكثر من حي قبل أن نستقر أخيراً في جرابلس فلا يعرف أطفالي معنى الارتباط والتعلق بشيء فنسوا أن بيتنا في حمص، ومنهم من نسي الأقارب الذين تشردوا مثلنا داخل سورية وخارجها" فلقد سُلِب الطفل السوري العيش والاستقرار في الوطن، بل ربما كره في عقله الباطن هذا الوطن الذي لم يرَ منه إلا الحرب والقتل والدمار، فبدلاً من أن تسمع أذنه أنشودة جميلة، تراه يسمع صوت الطائرات والمدافع، بدلاً من أن يتعرف على الأقارب، ويؤسس علاقات تشرد في بلده غريباً.

وانعكست الأحوال الاقتصادية على الأسرة السورية بعد أن أصبح معظم السوريين تحت خط الفقر، فحرم الطفل السوري بسبب الفقر من بهجة الطفل وفرحته بثوب جديد أو قطعة حلوى أو لعبة جميلة، بل أصبح العيد سبباً للحزن والحسرة بدلاً من أن يكون باباً لإدخال الفرحة لقلب الأطفال، أم أحمد أم لخمسة أطفال " بعد اعتقال زوجي مرَّتْ أعياد كثيرة لم نستطع خلالها شراء ثياب جديدة لأولادي، فقد أصبح كل شيء مستحيلاً، واللحم يدخل البيت كل شهور مرة واحدة، حتى الحلويات المنزلية (الكاتو، البسكوت..) أصبحت من الرفاهيات، لقد بتنا نعيش على المساعدات" وقد زاد الفقر بسبب البطالة أو موت المعيل أو اعتقاله أو فصل النظام للعمال.

وأدى فقد الأب، وتدهور الأحوال المعيشية لانخراط الأطفال في سوق العمل مبكراً، فبدلاً من رؤية الطفل خلف مقاعد الدراسة أصبح يُشاهد خلف بسطة دخان أو بسكوت أو خبز، أو بائعاً للمحروقات، وفي أحسن الأحوال أجيراً في محل أو ورشة، يشرح الطفل محمد 12 سنة يشرح سبب عمله: " تركت الدراسة في الصف الرابع بعد إصابة والدي، والحمد لله أحقق لأهلي دخلاً جيداً من بيع المحروقات" والغريب أن محمد يعتبر نفسه محظوظاً يتابع: " ومن حسن حظي أنني لا أعمل أجيراً عند أحد، فصديق والدي يساعدني، وسمح لي بوضع البراميل أمام محله" لقد كبر الطفل السوري قبل الأوان وتحمل مسؤوليات يعجز عن حملها الرجال لإعالة أسرته أو إعانتها، فلعبه العمل ودراسته الشقاء، وطفولته سراب.

وفعلاً يعتبر الطفل العامل محظوظاً إذا ما تمت مقارنته مع الطفل المتسول، فأمام العوز والحاجة وانهيار كثير من القيم والمبادئ دفعتْ بعض الأسر بأبنائها لامتهان التسول حرفة، فباتوا على أبواب المساجد وفي الطرقات والأسواق، وتدرب قسم كبير على قرع الأبواب والدوران على البيوت، ولهذه الظاهرة مخاطر سيئة على الطفل فهي قد تدفعه إلى الانجراف ، وفي أحسن الأحوال إنساناً كسولاً بلا كرامة، وعبئاً على المجتمع، تقول المربية فاطمة: "إنّ احتراف الطفل للتسول جريمة، لأنّ ذلك سيجعله إنساناً غير سوي، وسيشعر بالدونية، مما سينعكس مستقبلاً على حياته التي ستصبح بلا شك فاشلة".

لكنّ المأساة الأكبر التي تعرض لها الطفل السوري تمثلت باليتم، ولا سيما إذا علمنا أنّ أغلب الأيتام من أعمار صغيرة وأعدادهم كبيرة أي أنّ قسماً كبيراً سيحرم حنان الأم وعطف الأب، وسيعيش حياة اجتماعية غير سوية تحتاج لجهود كبيرة من المجتمع لرأب الصدع، وتعويض الأطفال فقد أحد الوالدين، وهذا غير متوفر للغالبية على المدى المنظور، بل إنّ أعداد الأيتام آخذة بالازدياد أمام استمرار الأزمة.

والخطر الأكبر على الطفل السوري يتمثل بوحش الجهل الذي يفترس مستقبلهم قبل حاضرهم، فقد حرمت الظروف الاستثنائية من تشريد وقصف للمدارس وفقر وتوجه للعمل الأطفال من العلم، وجاء تنظيم الدولة ليزيد الطين بلة بإغلاق المدارس، فارتفعت نسبة الأمية بين السوريين ووصلت لمستويات قياسية لا يمكن للأيام أن تعوضها، يقول المربي فارس (من الباب في حلب): " كل شيء يمكن التغلب عليه وتعويضه فالفقير يصبح غنياً والنازح يعود لبيته، لكن حرمان الطفل على مدى سنوات من العلم شيء لا يمكن تعويضه، وسيأتي ذلك بنتائج كارثية على المجتمع، فلا يعقل أننا في القرن 21 وأطفالنا لا يعرفون مبادئ القراءة والكتابة والحساب" وسينعكس ذلك على مستقبل سورية كله.

ومن المآسي التي يعيشها الطفل السوري انخراطه في العمل العسكري، ولا سيما في صفوف تنظيم الدولة الذي أنشأ لهم معسكرات خاصة باسم أشبال الخلافة، فتحول الطفل من مشروع طبيب أو مهندس أو... إلى مشروع مقاتل، يقول المحامي حسن من ريف حلب: "حمل الأطفال للسلاح جريمة بكل المقاييس، واعتداء سافر على إنسانية الطفل، فيجب أن يمنح الطفل حقه بحياة سوية، ولا أعلم كيف سيكون هذا الطفل الذي يُحَمَّلُ في يده رأس رجل قطع ذبحاً؟!"

لقد سحقت الأزمة السورية الطفل السوري سحقاً، فلم يذق شيئاً من حلاوة الطفولة وجمالها، بل ذاق مرارة اليتم، وألم الفقر، واستغلال النفوس الضعيفة بالتسول، وحرم من أبسط حقوقه الإنسانية من لعب وتعليم وسكن كريم.

الياس مرقص مفكر القضايا الكبرى .. المنتصر للفرد

د. عبد الله تركماني (*)

تتميز كتابات المفكر الراحل الياس مرقص بإعادة الاهتمام بمسألة الأسس الفكرية والتاريخية الكبرى للقضايا العربية، وليس الركض وراء أحداثها الجزئية، أملا بأن يؤدي ذلك إلى مصالحة الإنسان العربي مع ذاته، ويجعله يطمح للتقدم الفعلي.

لقد تميز إنتاجه الفكري بدرجة عالية من العمق النظري، والحيوية الراهنية والاستشرافية، كما أنّ جهده النقدي في إعادة صياغة أوليات الفلسفة العربية، في ضوء مقتضيات التقدم العربي، جعله يساهم في بلورة منظور فكري اتسم بكثير من الاتساق، وعكس وجهاً من أوجه جدلية التاريخ والفكر في سياق تطور الفكر العربي المعاصر. وبصورة عامة يمكن القول أنه، في كل ما كتبه، كان يجمع بين النقد السياسي والنقد الفكري. وكان النقد السياسي بالمعنى الضيق للكلمة أي "السياسوي" والنقد الأيديولوجي يتقلصان ويضمران عنده عاماً بعد عام، في حين كان الفكري يتعمق ويتجذر.

فقد كتب الياس مرقص الكثير في مجال اختصاصه، وقصد بالفلسفة: نظرية المعرفة، بما تنطوي عليه من رفض للأيديولوجيا، خاصة حين يعتقد البعض أنها تعادل الفكر. فالأيديولوجيا الماركسية ليست، بوصفها كذلك، حاملة الحق، ولا الأيديولوجيا البورجوازية حاملة بالضرورة الباطل. وعليه، فقد قال "ليس ما ينقصنا هو الأيديولوجيا بل المنطق والمعرفة والثقافة والأخلاق، و... أيديولوجية تحترم وتثمّن بالأساس المنطق والمعرفة والثقافة والأخلاق".

وفي السياق كتب مرقص "إنّ هناك ثورتين كبيرتين في هذا التاريخ: ظهور الإنسان، ومن ثم المجتمع المؤنسن، وهناك ثورة وسيطة بينهما هي المجتمع المدني (Société Ci – ile). هذا المجتمع المدني يبلغ تمامه في المجتمع البرجوازي الحديث، في أوروبا. أصوله، بذوره، جوانبه قديمة وعالمية. تاريخه طويل جداً ومتنوع. تاريخ الإنسان بعد ظهور النوع هو، جوهرياً، تاريخ بروز وعدم بروز المجتمع المدني. والثورة المطلوبة، عالمياً، لا يمكن إلا أن ترتكز على أساس المُحرَز الإيجابي الكبير للمجتمع المدني. وهذا المحرز الإيجابي ليس البتة محصوراً في الجانب التقني والمادي الخ، ولا الجانب التقني والمادي هو بالضرورة ودوماً نور. « أوروبا » لحظة كبيرة وحيوية وحاسمة في منطق البسط أو النمو التاريخي للإنسان ككل، للعرب، للجميع. التعامل مع هذا «الشيء» الكبير بإدارة الظهر، باللعن، أو بالركوع، أو التعامل معه بالانبهار والحرب، بالسجال العنيف الذي يخفي أو لا يخفي الانبهار، موقف ألحق ويلحق ضرراً كبيراً بالوعي العربي: إنه الضياع».

لقد شغلت المسألة القومية، بوصفها واحدة من أهم مسائل الواقع العربي ببعديه التاريخي والعالمي، موقعاً هاماً في فكر وعمل الياس مرقص، فقد كانت من أهم المعايير التي انتقد في ضوئها الماركسية الدوغمائية والفكر القومي. ويمكن القول إنه تناول المسألة القومية بطريقتين: مباشرة، تتجلى في المؤلفات التي خصصها لهذا الموضوع مثل "نقد الفكر القومي عند ساطع الحصري"، و"الماركسية والمسألة القومية"، و"في الأمة والمسألة القومية والوحدة العربية" مع مكسيم رودنسون وإميل توما، و"عفوية النظرية في العمل الفدائي"، و"المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن"، وسلسلة من المقالات والدراسات. والثانية طريقة غير مباشرة، تجلت في عدد كبير من الآراء والأفكار والملاحظات في ثنايا مؤلفاته الأخرى. ذلك لأنّ قضيته المركزية كانت قضية الفكر والواقع والشعب، لقد اكتسبت المسألة القومية عنده طابعاً جديداً، واغتنت بمضمون حديث.

وخلافاً للرؤية التوتاليتارية/الشمولية التي تذوّب الفرد في الجماعة فتلغي فرادته وحريته واستقلاله، أي تلغي شخصيته وذاتيته تحت عناوين مختلفة: دينية ووطنية وشعبية وطبقية وثورية ... إلخ، أكد مرقص أنّ المجتمع هو أولاً وقبل أي شيء آخر مجتمع الأفراد، والأمة أمة الأفراد، وإلا فلا معنى، ولا معقولية. وكما يكون الأفراد يكون المجتمع وتكون الأمة. فالمجتمع الذي يلغي حرية الأفراد واستقلالهم وذاتيتهم إنما يلغي حريته واستقلاله وذاتيته، إنّ إلغاء الفرد والخاص هو إلغاء للعام. ومن البديهي أننا بإلغاء الفرد والخاص لا نلغي وجود الأفراد، بل نلغي العلاقات التي تشكل جوهرهم وماهيتهم، أي نلغي الأمة، وننتج حالة من التناثر الاجتماعي والقومي أشبه بحالة اجتماع حبات الرمل أو أفراد القطيع.

وفي هذا السياق كتب مرقص "إذا ما ألغينا الأفراد وأكدنا الهوية لن يكون لدينا أي تطور، ولن يكون لدينا سوى جوهر وهمي للأمة، عندئذ لا نكون إزاء مسألة الهوية، بل بالأحرى إزاء عقدة الهوية، والفرق كبير، إلى ما لا نهاية، بين الهوية وعقدة الهوية. الهوية ذاتية حقيقية، ثقة بالذات، استقلال فعلي، حرية، حرية للإنسان فرداً ومجتمعاً وأمة".

نقل الياس مرقص المسألة القومية العربية، بكل منطوياتها، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وبكل مسائلها، من حقل التأمّل النظري والتطلّع الرومانسي والحنين إلى الماضي والتعلّق بالتراث والتقليد، إلى مستوى الواقعية والحداثة، مع فكرة الإنسان والتاريخ والتقدم. فقد نقلها من مستوى الوجود المجرد، الجوهري، اللاتاريخي، إلى الوجود المعيّن، فوضعها في إطار المجتمع المدني ودولة الحق والقانون، مؤكداً مضمونها العلماني الديمقراطي واتجاهها المستقبلي وبعدها الإنساني.

كان الياس مرقص يأمل بأن تتلقح الحركة الشعبية بالوعي الماركسي، وقد أدرك أنّ هذا العمل " ثورة كبرى "، كان شرطها توطين الماركسية في الواقع العربي، أي إعادة إنتاجها في هذا الواقع، بحيث تكون ماركسيته دون غيره، ملبية لحاجاته دون سواه، وليست الماركسية التي وصلتنا في شكل معاد لماركسية ماركس. وفي هذا السياق "أعاد الستالينية إلى المكان اللائق بها كأيديولوجيا مقطوعة الصلة بالماركسية والعلم، تفتقر إلى الروح الجدلية والترابط المنطقي والعقلانية، وتضرب عرض الحائط بأسس المعرفة العلمية وبالواقع".

رفض مرقص الاعتقاد بأنّ الماركسية تتضمن حقائق معصومة، وأخذ يعيد اكتشاف أدواتها في الواقع العربي المتعين في الزمان والمكان العربيين. وقد وجد أنها ستكون حقيقية بقدر ما تعيننا على اكتشاف واقعنا بصورة مطابقة لذاته، وتساعدنا على تقديم قراءات مطابقة له. بهذا المعنى اكتسب واقعنا عنده أولية نسبية على النظرية، واكتسبت هذه قيمتها في نظره من كونها نظريته. لذلك أعاد إنتاج الماركسية عربياً، وأخذ يستخدم ما تتيحه من أدوات علمية متطورة للتعرف على واقع جديد بالنسبة لها هو الواقع العربي، بغرض "ضبط هذا الواقع وجرده" بأكبر قدر ممكن من الدقة والعلمية، وإنتاج الماركسية، حتى من جوانبها الفلسفية، كفلسفة توطنت في الواقع الجديد، الذي أسهمت في التعرف عليه فأسهم في تعيينها وإغنائها بخصوصياته.

وضمن إطار الإشكالية التي وجّهت فكره وعمله (إعادة تأسيس العقلانية في الفكر العربي المعاصر، وإعادة بناء الوعي العربي والارتقاء به من وهدة التأخر والفوات إلى مستوى العصر الحديث)، انتقد مرقص الفكر القومي على اختلاف تياراته وتلاوينه، كما كان من السباقين إلى نقد الماركسية، ولا سيما الدوغمائية الستالينية ونسختها العربية، وكشف النقاب عن طابع الأخيرة "الاقتصادوي" ومنهجها الوضعاني.

أقام مرقص نظريته في الديمقراطية على ثلاث أفكار أساسية: أولاها، الفرد الحر المستقل ركيزة بناء الأمة وتطورها، بحيث يكون غياب الـ " أنا أفكر" سبب ضياع الـ" نحن" وتبديده، وبالتالي فالأمة توافق بين الأفراد. وثانيتها، الديمقراطية ليست هدفاً وطريقاً وأداة في العمل السياسي وحسب، بل هي أيضاً، موقف في نظرية المعرفة. هي موقف اعتراف بالكائن والواقع، بذات الواقع والتاريخ، موقف اعتراف بالبشرية الأمية صانعة التاريخ. الديمقراطية هي موقف اعتراف بجماهير هي كتل كبيرة مهمشة، ويجب أن تتحول إلى ذات تاريخية وسياسية. وثالثتها، المجتمع المدني، باعتباره قضية الشعب، وكينونة المجتمع ذاتها.

لقد أيقن مرقص أنّ الماركسية لا يمكن أن تتضمن كل الحقيقة، ولا يمكن أن تكون الحد الذي تتوقف عنده المعرفة الإنسانية، فقد كان ماركسياً متحرراً من صنمية النص، لأنّ انتسابه إلى هذا الفكر لم يكن انتساباً عصبوياً. وفي الوقت نفسه انتقد مثالية وذاتية النظرية القومية. كما سعى، بفكره وتنظيره، إلى تقديم تركيب نظري بين القومية والماركسية، إذ اكتشف أنّ المسألة القومية قد جرت معالجتها بشكل خاطىء من قبل كثير من المفكرين الماركسيين، ومن قبل الأحزاب الشيوعية، ومن قبل الحركات التي حملت راية القومية. وقد يكون مصدر نجاحه أنه كان باحثا عن الحقيقة وليس ساعياً وراء السلطة.

* باحث استشاري في " مركز الشرق للبحوث "

محمد رشيد رضا.. من الإصلاح إلى السلفية

حكم عاقل

ربما كان عصر محمد رشيد رضا (1865–1935) من أكثر المراحل كثافة، من حيث التحولات السياسية والفكرية الكبرى في العالم الإسلامي والعربي خصوصاً. وكان رضا على تواصل مع مختلف التيارات والحركات، فدارت بينه و بين زعماء هنود وأفارقة مراسلات عديدة، وبينه وبين العديدين في العالم العربي، كالملك عبد العزيز آل سعود، والإمام يحيى إمام اليمن، والإدريسي إمام عسير، والأمير شكيب أرسلان، والحاج أمين الحسيني، وعبد الحميد الزهراوى، وعبد الرحمن الشهبندر، وغيرهم.

هيمن على فكر رضا في البدايات التوفيق والتقارب بين التيارات السياسية والدينية المتباينة. التقريب ين الأديان والتقارب العربي التركي والتوفيق بين السنة والشيعة وبين الإسلام والحداثة، كانت مشاغل بارزة ضمن مشاغل الرجل الذي أتى من لبنان إلى مصر ليتصل بمحمد عبده، ويطلق صحيفة المنار التي دامت قرابة 35 عاماً. حينها كانت الصحافة الوسيلة المثلى للتواصل مع القراء، وكان الإصلاح عند محمد عبده قد بدا على رأس أولوياته.

تأثر رشيد رضا بالمشروع الإصلاحي للإمام محمد عبده الذي يركز على مقاصد الشريعة كمنهج لفهم الدين، فدعا إلى منهج يقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد كأساس للتشريع، وأن الأصل معقولية الأحكام وإدراك معانيها وضرورة استحضار مقاصد الشريعة عند النظر في آحاد المسائل، وأنه حين التعارض بين المصلحة العامة والعمل بالنصوص يجوز تخصيص النص.

لكن رضا عاد عن الإصلاح لصالح التمسك بمشروع سلفي، وكان لذلك ربما جملة من الأسباب الموضوعية والذاتية، أجبرته على العودة إلى منبته الشامي المتمسك بالفقه الحنبلي، لاسيما بعد اطلاعه وتأثره بابن تيمية وبمحمد بن عبد الوهاب في نجد. موضوعيا كان رضا شاهداً على الإخفاقات المتلاحقة.

تمسك رضا بعثمانيته، وتحت شعار سلطان الدين واستمرار الخلافة عمل على تقوية الرابطة العثمانية، حتى أنه في افتتاحية العدد الأول من "المنار" أعلن عن صحيفته الجديدة بأنها عثمانية المشرب حميدية اللهجة تحامي عن الدولة العليا بحق. ورغم حرصه على عدم التصادم مع السلطات العثمانية إلا أنه لم يستطع تحقيق مراده لاسيما بعد مطالبته بالإصلاح السياسي، والأخذ بالشورى في السلطنة العثمانية، بالإضافة لصدامه مع بعض الولاة العثمانيين دفاعاً عن جمال الدين الأفغاني. فمنعت "المنار" في أكثر من ولاية، ناهيك عن عاصمة السلطنة، وصدرت مذكرة توقيف بحقه حياً أو ميتاً، ثم دخل في مواجهة أشد شراسة مع الدولة العثمانية بقيادة الاتحاد والترقي وسياساتها المذلة والمحقرة للعرب ليدافع عن اللغة العربية كلغة للدين وعن دور العنصر العربي في رفعة الدولة العثمانية. إلا أن ذلك كله لم يدفع رضا إلى المطالبة بالاستقلال السياسي للعرب والتخلي عن وحدة الدولة العثمانية.

في الموقف من العلاقة بين السنة والشيعة، رأى في وحدتهما ضرورة تقوم على قاعدتين: التعاون فيما يتفقان عليه، وإذا قام أحد من الطائفتين بالهجوم على الطائفة الأخرى يقوم من طائفته نفسها من يرد عليه. لكن ذلك عملياً كان متعذراً، ومع بلوغ الصراع المذهبي ذروته، عاد رضا ليلقي باللوم على الشيعة، وعلى زعمائهم بدعوى أن أكثر البدع والخرافات إنما جاءت من غلوهم.

انهيار مشروع الجامعة الإسلامية عند الأفغاني، وتحول محمد عبده إلى الإصلاح الديني بعد فشل الإصلاح السياسي، وفشله في إصلاح التعليم في معركته مع "الأزهر"، وفشل الثورات الأهلية في ليبيا والمغرب و سوريا، وسيطرة الاستعمار على العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه بعد انهيار الخلافة العثمانية، وتنامي الدعوة السلفية عبر المشروع السياسي لعبد العزيز آل سعود، دفعت رشيد رضا إلى التخلي عن الانشغال بقضايا النهضة والتقدم والإصلاح للتأكيد على الهوية الذاتية الخاصة بالمؤمن التي تميزه عن غيره، وللنضال ضد العقائد التي تخالف الاتجاه السلفي.

وكان من الضروري نتيجة للتحولات السياسية التي عاصرها رشيد رضا التحول من نقد التراث الذي سيطر على توجهات الأفغاني ومحمد عبده الى نقد الغرب.

يمكن القول أن بداية السلفية في مصر قد بدأت مع محمد رشيد رضا، لاسيما وأن حسن البنا قد تواصل معه في عدة مناسبات وتأثر بفكره، ورغم عدم وجود أي دليل يثبت تأييداً ما من قبل رضا لحركة "الإخوان المسلمين" التي أسسها البنا 1928 قبل سنوات على وفاته، فإن كثيرا من مقولات البنا نفسه كشمولية الإسلام باعتباره دين ودولة ومصحف وسيف ونحوها، هي مستقاة من مفردات ومقولات خطاب رشيد رضا، والذي تأثر به أيضا الشيخ محمد ناصر الألباني الذي لم يكن أكثر اعتدالا من البنا، ناهيك عن أنه أسس مدرسة لتخريج الدعاة لم يكتب لها الاستمرار. وينسب للألباني قوله: ((فإنني بفضل الله عز وجل، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم)).

رغم دعوته لتفسير القرآن تفسيرا يوفق بين الدين والعصر وبين الإسلام والعلم الحديث، المشروع الذي عرضه رشيد رضا على محمد عبده فرفضه الأخير، إلا أن رضا بدا متمسكا بالتفسير الحرفي للنص، وربما يتضح ذلك بوضوح من موقفه من كتاب طه حسن (الشعر الجاهلي) الذي أنكر فيه الوجود التاريخي للنبي إبراهيم، وعلى خلاف أستاذه محمد عبده الذي تأول بعض الآيات مجازا كقصة آدم وغيرها، فإن رضا برر موقفه من طه حسن بأن الاعتقاد المخالف لنص قرآني قطعي الدلالة غير متأول يخرج صاحبه عن جماعة المسلمين. فالتفسير النصوصي للقرآن الذي يهتم بالمنقول أكثر من الاهتمام بالمعقول، كما يرى تشارلز آدمز، عاد ليبرز في فكر رضا بعد تحرره من فكر أستاذه محمد عبده.

هكذا كافأ حزب اللّه الشعب السوري

فيكتوريوس بيان شمس

صرّح وزير الداخلية اللبناني نهاد المشنوق مساء يوم السبت 2014/12/6، أي بعد يوم واحد من إعدام "جبهة النصرة" للشرطي اللبناني المأسور لديها علي البزال، أن "الإعلان عن توقيف زوجتي أبو بكر البغدادي وعلي الشيشاني خطأ كبير".

كانت السلطات اللبنانية قد اعتقلت في وقت سابق سجى الدليمي، وهي زوجة سابقة لأبي بكر البغدادي وابنتها منه، إضافة لعلا جركس.

قبل هذه الحادثة بأيام، فاجأ حزب الله الرأي العام اللبناني بعد أن استطاع إنجاز عملية تبادل، حرّر من خلالها عماد عياد، وهو أحد عناصر الحزب، مقابل أسيرين لـ "جبهة النصرة"، وهو ما أثار موجة سخط واستنكار عارمة، خاصة وأن الدولة اللبنانية تقف مرتبكة، عاجزة عن تحرير جنودها، فيما كان حزب الله يحتفل بإنجاز صفقته.

أعقب عملية إعدام علي البزال، بعد انقضاء المهل التي أعطتها "النصرة" للدولة اللبنانية كي تفرج عن النساء المعتقلات، عمليات قطع للطرقات، واعتداءات طالت اللاجئين السوريين، راح ضحيتها نساء وأطفال سوريون لا ذنب لهم، وهو ما أصبح اعتيادياً بعد هكذا حوادث في لبنان، إذ يتم التعامل مع اللاجئين جميعاً على أنّهم منتمون للتنظيمات الأصولية المتطرّفة التي ترتكب هكذا جرائم من وقت لآخر وسط صمت رسمي مريب، لا بل أحياناً تلعب بعض وسائل الإعلام المحلية دوراً تحريضياً خطراً، يزيد المناخات العدائية شحناً.

في نفس السياق، تبدو الدولة اللبنانية في حالة عجز تام أمام الأحداث التي تمر بها المنطقة، وهو ما يظهر من خلال طريقة تعاطيها مع أغلب الملفات الملحّة، كمعضلة انتخاب رئيس للجمهورية، أو التمديد لمجلس النواب. أو من خلال عجزها عن تنظيم مسألة اللاجئين، أو ضبط وإدارة الخلافات الداخلية التي قد تظهر بين الفينة والأخرى، والتي تهدّد في كل مرة بتفجير الأوضاع الحذرة بطبيعة الحال، كما جرى في أيلول الماضي عندما أحرقت مجموعة من الشبان راية تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، أو بعد هذه الحادثة بأيام عندما ظهرت فجأة مجموعة مقرّبة من التيار الوطني الحر حليف حزب الله، أطلقت على نفسها اسم "أوميغا تيم" والتي كانت قد اقتحمت مكاتب قناة "الجزيرة" القطرية لإجبارها على تقديم اعتذار عن تغريدة للإعلامي فيصل القاسم، والتي اعتبروها مسيئة لجيش بلادهم.

في مناخ كهذا، جرى اعتقال هؤلاء النسوة، لا لشيء، إلا للشك بصلات قربى مع إرهابيين. القصد من عملية الاعتقال، مقايضتهن بالأسرى العسكريين لدى "داعش". وهي سابقة خطيرة، لا تقوم بها دولة لديها مؤسّساتها وقوانينها وأعرافها. قد يُفهم، لو أن من قام بهذا الفعل بشكل مباشر، حزب متورّط في المأزق السوري كـ "حزب الله" بعد أن تحول من حزب مقاوم بما تمثّله المقاومة من معانٍ إنسانية نبيلة، إلى حزب ميليشوي، كان موقعه في الصراع مع "اسرائيل" سابقاً يُغطّي ويموه طائفيته التي عادت لتظهر بشكل ما عاد بالإمكان إخفاؤه، لا بل كانت حجّته للتدخّل في سوريا "لحماية المقدّسات والمزارات" كما أعلن مراراً.

هذا يعني أن الدولة تصرّفت بشكل خاطئ كما صرّح وزير داخليتها، وهو ما يسمح من جهة أخرى بالقول، إن الدولة انزلقت لتتصرّف بطريقة ميليشياوية كتعبير عن الخلل الذي يكتنفها، وهو تصرّف غير محسوب يساعد على تعميق المأزق التي تمر بها المنطقة، والتي كان من نتائجها الأولية شرخاً طائفياً ومناطقياً وممارسات عنصرية ضد اللاجئين، دون أن تحرّك الدولة ساكناً تجاهها، خاصة وأن كل ذلك ما هو إلا نتيجة لسياساتها المتخبّطة أصلاً.

هنا يعيد التاريخ نفسه معكوساً، وبشكل مأساوي. فقد مارست أحزاب اليمين المسيحي اللبناني ذات الممارسات التي يقوم بها أنصار حزب الله وحلفاء النظام السوري مع الفلسطينيين طوال فترة الحرب الأهلية (1970 – 1990)، سواء لجهة التمييز العنصري وما يتخلّله من عنف، أو لجهة تحميلهم المسؤولية عن اندلاع تلك الحرب، مع أن أسبابها كانت أكثر تعقيداً من ذلك بكثير، فقد انعقدت فيها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على بعضها متداخلة مع الاعتداءات الصهيونية المتكرّرة لأطماع، بعضها له علاقة بالمقاومة الفلسطينية آنذاك، لكن لبعضه الآخر علاقة بالهيمنة على موارد هذا البلد.

إلا أن المختلف في الوضع الراهن، أن الشعب السوري الذي تهجّر من دياره، وقد ساهم حزب الله بذلك بشكل فعال، هو الشعب نفسه الذي تعاطف مع حزب الله، ومع "المقاومة الوطنية اللبنانية"، وقبلهما مع المقاومة الفلسطينية في كل المراحل. وقد وقف هذا الشعب مع حزب الله في كل المراحل الصعبة التي مرّ بها، لا لشيء، إلا لأنه حزب مقاوم.

في المحصلة، انساق حزب الله في مشروع طائفي كبير، هو جزء منه، وهو المشروع ذاته الذي ساعد على إبرازه كقوة موازية لقوة الدولة اللبنانية؛ إن لم يكن أقوى، ليتعامل مع اللاجئين السوريين وفقاً لمنطقين مأزومين، في الأول اعتبر أنّه يستكمل معركته مع "اسرائيل" على الأراضي السورية، وهذا ما يفسّر سكوته عن الاعتداءات المستمرة من قبل حاضنته الاجتماعية على اللاجئين، الذين يظهرون وفقاً لهذا الفهم وكأنّهم عملاء لـ "إسرائيل". وفي المنطق الثاني اعتبر أنّه يكافح "الإرهاب"، وعلى هذا يتم التعامل بشكل ضمني مع مخيمات وتجمّعات اللاجئين وكأنّها "أوكاراً" للإرهاب، فيما تتعامل حاضنته الشعبية بتطرّف أكبر، إذ تباشر بعد كل خسارة عسكرية ميدانية يتكبّدها الحزب في معاركه على الأراضي السورية بالاعتداء المباشر على اللاجئين، وعلى المناطق التي تستضيفهم، في ظل صمت الحزب، والنظامين السوري واللبناني على ذلك.

يعلم حزب الله أن عجلة الزمن لن تعود إلى الوراء، وأنّه بخسارته للشعب السوري، خسر بعداً استراتيجياً مهمّاً. قد يستطيع إقناع الغرب بأنّه شريك موضوعي له في مكافحة الإرهاب، لكن السؤال الذي استجدّ بعد كل هذا: هل يستطيع إقناع الشعب السوري وباقي شعوب المنطقة بأنّه مازال يقاوم "اسرائيل"؟.

العراق يسعى لتأجيل «تعويضات» حرب الكويت مع هبوط أسعار النفط

رويترز:

قال وزير المالية العراقي هوشيار زيباري لرويترز إن بلاده تسعى لتأجيل دفعة أخيرة قيمتها 4.6 مليار دولار من التعويضات المتعلقة باحتلالها للكويت في عامي 1990 و1991 في الوقت الذي تواجه فيه بغداد أزمة سيولة بسبب هبوط أسعار النفط ومحاربة تنظيم الدولة الإسلامية.

ومنذ أول مرة سمح فيها للعراق باستئناف مبيعاته النفطية قبل نحو عقدين يدفع العراق أموالا إلى هيئة تابعة للأمم المتحدة تشرف على التعويضات عن أعمال النهب والأضرار الناجمة عن احتلال الكويت الذي استمر سبعة أشهر إبان عهد الرئيس الراحل صدام حسين.

وجرى صرف تعويضات لأكثر من مليون مطالب، وتم دفع جميع التعويضات تقريباً، والبالغ إجماليها 52.4 مليار دولار من مخصصات سنوية تبلغ خمسة بالمئة من عائدات تصدير النفط يجنيها العراق للجنة الأمم المتحدة للتعويضات.

لكن مع اتجاه الاقتصاد العراقي حالياً نحو الانكماش، للمرة الأولى منذ الغزو الأمريكي، يواجه العراق صعوبة في تحويل جزء كبير من موازنة عام 2015 لسداد هذه الدفعة الأخيرة من التعويضات في العام المقبل.

وقال زيباري يوم الخميس الماضي «إننا ملتزمون حقا بدفع هذه (الأموال) في الوقت المحدد حتى هذه اللحظة.» وأضاف «نجري مناقشات مع الكويتيين ونسعى إلى تأجيل الدفع لعامين أو على الأقل لمدة عام لإفساح بعض المجال... لتقديم موازنة واقعية».

وقال مسؤول كبير في لجنة الأمم المتحدة للتعويضات في جنيف إنه لم يتم اتخاذ قرار حتى الآن مضيفاً أن أي تغيير سيتطلب موافقة مجلس إدارة اللجنة الذي يضم نفس الدول الأعضاء الخمس عشرة في مجلس الأمن الدولي.

وقال المسؤول لرويترز «يترامى إلى مسامعنا أن مجلس الإدارة سينظر في المسألة خلال جلسة خاصة تعقد الأسبوع المقبل»، مضيفاً أنه تقرر مبدئيا عقد اجتماع يوم 18 من ديسمبر كانون الأول في جنيف.

وقبل أسبوعين ألغى العراق مسودة موازنة 2015 بسبب هبوط أسعار النفط قائلا إنه سيقلص خطط الإنفاق.

ويحتاج العراق إلى موافقة الكويت على تأجيل الدفع نظراً لأن آخر وأكبر تعويض لم تدفعه بغداد حتى الآن من نصيب الكويت عن أضرار لحقت بمنشآتها النفطية.

وكانت القوات العراقية قد أشعلت النار في أكثر من 700 بئر نفط كويتية أثناء انسحابها إبان عملية عاصفة الصحراء التي قادتها الولايات المتحدة لتحرير الكويت في يناير/ كانون الثاني عام 1991. وظلت النار مشتعلة في بعض هذه الآبار لعشرة أشهر.

وسيحتاج العراق أيضا إلى كسب تأييد دولي واسع لتأجيل الدفع نظراً لأن التزامها بدفع الأموال منصوص عليه في قرارات مجلس الأمن.

وقال زيباري «يوجد تفهم... سيشهد الأسبوع المقبل بعض النشاط الدبلوماسي المحموم بين بغداد والكويت وجنيف ونيويورك لتقديم طلب مشترك لتأجيل الدفع». مضيفا أن التأجيل لعام أو عامين سيعطي العراق «متنفسا».

عملية تحرير أمريكية فاشلة لرهينتين في اليمن

فشلت القوات الأمريكية من تحرير رهينتين أمريكي وجنوب أفريقي في اليمن، ما أدى إلى موت الرهينتين، وهو ما يعد فشلاً ذريعاً للقوات الأمريكية في اليمن بعد محاولات فاشلة أخرى في تحرير رهائن.

وقال مسؤول في القاعدة في جزيرة العرب إن جناح التنظيم في اليمن يحمل الولايات المتحدة مسؤولية وفاة رهينتين أمريكي وجنوب أفريقي قتلا خلال محاولة انقاذ فاشلة نفذتها القوات الأمريكية، مضيفاً أن واشنطن اختارت «بحماقة» القوة بدلاً من التفاوض.

وقال ناصر بن علي الأنسي في تسجيل فيديو نشره موقع سايت الذي يتابع المواقع الإسلامية يوم الخميس الماضي إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما وحكومته كانا على علم «بعدالة مطالبنا وكان بإمكانهم التفاوض على بعض بنودها أو اظهار حسن النية في ذلك.»

وتابع قوله «بالرغم من تحذيرنا له من مغبة الإقدام على أي حماقة بهذا الصدد ...لكنه اختار الحل العسكري والذي فشل سابقا وسيفشل بإذن الله مجددا.»

وقال مسؤولون أمريكيون إن الصحفي الأمريكي لوك سومرز (33 عاما) والمدرس الجنوب أفريقي بيير كوركي (56 عاما) قتلا برصاص خاطفيهما خلال عملية المداهمة يوم السبت في منطقة وادي عبدان بمحافظة الشبوة إحدى أهم معاقل القاعدة.

وذكر سكان أن امرأة وطفلا في العاشرة من عمره وقياديا محليا للقاعدة كانوا بين 11 شخصا على الأقل قتلوا خلال إطلاق النار.

وتعتبر واشنطن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أحد أخطر فروع القاعدة في العالم. وتقصف الولايات المتحدة التنظيم بطائرات بدون طيار منذ سنوات، وتعمل مع حكومة اليمن لمنع المقاتلين من الانتشار خارج حدود مخابئهم في جنوب وشرق اليمن.

وكانت محاولة الانقاذ هي الثانية لتحرير سومرز في 10 أيام، وجاءت بعد تحذير من التنظيم للولايات المتحدة بتلبية مطالبه خلال ثلاثة أيام.

وفي تسجيل الفيديو أدان الأنسي سجن رجل دين مصري معروف وعالمة أعصاب باكستانية في الولايات المتحدة بتهم تتصل بالإرهاب، ولمح إلى أنه سعى للإفراج عنهما مقابل سومرز.

وأضاف أن المفاوضات كانت جارية للإفراج عن كوركي ليؤكد جانبا من رواية جماعة خيرية جنوب أفريقية كانت تشارك في المفاوضات نيابة عن أسرته.

وقالت الولايات المتحدة إنها كانت على علم بوجود رهينة أجنبي آخر في المكان ذاته مع سومرز، لكنها لم تكن تعلم بهويته، أو بالمساعي السرية للإفراج عنه.

ودافع أوباما عن العملية وقال إن الولايات المتحدة «لن تدخر جهداً في استخدام كل قدراتها العسكرية والاستخباراتية والدبلوماسية لإعادة الأمريكيين إلى بيوتهم سالمين أياً كان مكانهم».

عودة الشركات الأمنية الأمريكية «المقاولون» إلى العراق

*موسى القلاب

أكد السفير الأمريكي الجديد لدى العراق "ستيوارت جونز" أن الولايات المتحدة توصلت مؤخراً لاتفاق مع الحكومة العراقية بشأن إعطاء القوات الأمريكية الحصانة من الملاحقة القضائية. كما نقلت صحيفة "غارديان" البريطانية الصادرة يوم الجمعة 5 ديسمبر 2014 ، عن "جونز" قوله: (إن رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي أكد على اعطاء الامتيازات والحصانات للعدد المتزايد من القوات الأمريكية المتمركزة هناك، للمساعدة في الحرب ضد مسلحي تنظيم الدولة الإسلامية).

فهل المقصود بتلك الحصانة أن تشمل الجنود الأمريكيين، رغم أنهم لا يشاركون في القتال ولا يقتربون من خطوط التماس مع مقاتلي تنظيم الدولة الاسلامية؟ لاسيما وأن المشاركة الأمريكية في العراق وسوريا تقتصر على الضربات الجوية، وتبادل المعلومات الاستخبارية، وإسداء المشورة للقوات العراقية ومساعدتها وتدريبها.

يعلن مسؤولون أمريكيون عن تنفيذ استراتيجيتهم الجديدة في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، من خلال إرسال مستشارين ومدربين عسكريين، وهو المصطلح الذي تستخدمه واشنطن لتبرير إرسال دفعة جديدة من قواتها إلى العراق قد تصل الى عشرات الآلاف مع مرور الوقت ومبررات الحاجة العراقية والكردية.

إذاً يبدو أن وراء الأكمة ما وراءها، خصوصاً بعد أن تسربت بعض الأنباء عن وجود خطط تمهد لعودة الشركات الأمنية الأمريكية إلى العراق، والمعروفة عموماً باسم "المقاولون الأمنيون" مثل " بلاك ووتر" وغيرها.

لذا من المتوقع عودة آلاف المتعاقدين من العاملين في شركات أمنية خاصة الى العراق من جديد، ضمن عقود جديدة أعلنت عنها وزارة الدفاع الأمريكية في شهر أغسطس الماضي، من أجل المشاركة في المعركة ضد الإرهاب في العراق وسوريا. حيث لعبوا في السابق دوراً محورياً، في حروب الولايات المتحدة ضد القاعدة وطالبان في العراق وأفغانستان.

خلال فترة الاحتلال الأمريكي للعراق من 2003 – 2011 تواجد عشرات الآلاف من عناصر هذه الشركات الأمنية التي تحترف القيام بأدوار قتالية متعددة غاية في الصعوبة والتعقيد، وبمهارة تفوق أداء القوات الأمريكية والبريطانية، خصوصاً وأن بعضهم متقاعدون عسكريون، اكتسبوا خبرات قتالية ضمن تشكيلات الجيش الأمريكي والبريطاني في المسارح القتالية العالمية.

تعني عودة الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة إلى هذا الخيار والإعلان عن حاجتها لخبرات عناصر تلك الشركات المتعددة بأن لديهم الكثير من الواجبات العسكرية والأمنية، حيث وجد هذا الطلب الصادر عن أصحاب القرار الامريكي ترحيباً واهتماماً من قبل إدارة الشركات الخاصة تلك. جديرٌ بالذكر أن وزارة الخارجية الامريكية كانت قد جددت عقداً من دون مناقصة مع شركة " تيربل كانوبي" الدفاعية الخاصة في شهر يوليو الماضي، بهدف مضاعفة عدد حرّاس القنصلية الأمريكية في أربيل.

ثمة محاذير متعددة صدرت حول استخدام مثل تلك الشركات الأمنية الخاصة عبر العالم، لقساوة أدائها ووحشية أساليبها وخرقها لحقوق الانسان، كما جرى في أماكن عديدة، وسجن أبي غريب أحد المواقع التي تشهد على ذلك.

فقد نشر كتاب "بلاك ووتر.. أقوى جيش مرتزقة في العالم" للكاتبJeremy Scahill، تفاصيل دقيقة عن ممارسات عنيفة لهذه الشركة ومثيلاتها في مناطق التوتر والصراعات المسلحة على الساحة العالمية.

تتألف شركة "بلاك ووتر" الرئيسية من تسع شركات فرعية، أهمها الاستشارات الأمنية، والعربات المصفحة، والتدريب على الأهداف الإلكترونية، ومركز التدريب للعمليات القتالية، وكلاب الحراسة والكشف عن الأثر والمتفجرات والمخدرات، والطائرات والزوارق البحرية، ومجموعة التطوير والتحديث. يشير الموقع الإلكتروني لشركة " بلاك ووتر" أنها شركة عالمية متخصصة في تقديم الدعم العسكري للأجهزة (المنفذة للقانون والأمن وحفظ السلام وعمليات حفظ الاستقرار).

لكن شركة " بلاك ووتر" ليست الشركة الوحيدة التي كانت عاملة في العراق، فكان هناك أكثر من 60 شركة أمنية أجنبية، جميعها منظمة في اتحاد واحد تحت اسم (اتحاد الشركات الأمنية في العراق – PSCAI). حيث وصل تعداد الأفراد العاملين في هذه الشركات في العراق ما بين 30 إلى 50 ألف عنصر، وشكلوا آنذاك القوة الثانية بعد قوة الجيشين النظاميين الأمريكي والبريطاني.

لعلّ من أهم تلك الشركات العسكرية والأمنية ذات الخبرة الطويلة في العراق، والمرشحة بأن تعود من جديد الى المنطقة، " دايني كروب" المتخصصة بتدريب الشرطة، وهي المسؤولة عن حماية أغلب السفارات الأمريكية في العالم. وكذلك شركة "كيلوج براون ورث" البريطانية العاملة في مجال صيانة الثكنات وإعداد الطعام ونقل التجهيزات وخدمات الماء والكهرباء. أما شركة "أرنيس للخدمات الأمنية" الأمريكية، فيعمل فيها 6500 عنصراً، وعملوا على حماية أعضاء مجلس الحكم الانتقالي السابق وحماية أنابيب النفط في العراق. في حين تختص شركة "ساندلاين إنترناشونال" البريطانية بخدمات التنسيق الأمني، وتعاقدت لهذا الغرض مع العراق بمبلغ 293 مليون دولار في يونيو 2004.

لهذا السبب تعاقدت الإدارة الأمريكية سابقاً مع "بلاك ووتر" لتوفير الحماية للشخصيات المهمة في العراق، بما فيهم "بول بريمر" و"نيجروبونتي" و"زلماي خليل زادة". كما تطورت مهام الشركات الأمنية الخاصة في العراق بصورة لا سابق لها، فأوكلت إليها مهام حراسة مشاريع ما يسمى إعادة إعمار العراق، وحماية الشخصيات المهمة، وحماية قوافل الإمدادات التي تمرّ في مناطق تحت سيطرة المقاومة العراقيّة، وحماية العديد من المؤسسات الحكومية الحساسة، إضافة إلى مقرّ الحكومة ومقرات قوات الاحتلال التي تعرف بـ"المنطقة الخضراء".

تشير عودة الشركات العسكرية والأمنية الى العراق من جديد إلى حاجة المدربين الامريكيين ومنشئاتهم إلى حراسة موثوقة، وحاجة الحكومة العراقية إلى استخدامهم في بعض المهام المتعلقة بحماية الشخصيات العراقية المهمة، وأمن الأماكن والنقاط الحساسة كمقرات الحكومة ومطار بغداد ومصفاة بيجي.

لكن المخاطر تكمن في قيام عناصر تلك الشركات بمهام قتالية وحشية في المناطق السنية، بذريعة قتال تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، واقترافهم جرائم ضدّ المدنيين العراقيّين، والتي من الممكن تصنيفها قانونياً بجرائم حرب ضد الإنسانية، واستهداف الكفاءات والزعامات العشائرية العراقية الموالية لداعش، واغتيال بعضها لأسباب سياسية.

*عميد(م) وباحث استشاري – مركز الشرق للبحوث.